قصة
حُب عبر المجرات
بدور ـ عبد الرحمن

قصة (حُب عبر المجرات)

لـ بدور عبدالرحمن

بنت_جيش

كانت ليلة قارسة البرودة، لكنني أعتدتُ على الوقوف في النافذة أتأمل النجوم؛ هنا في صحراء سيناء السماء صافية عادةً في الليل يمكنني تخيُل كل ما يخطر ليّ، مللتُ من أحاديث العائلة في الصباح عن زواجي وتقدمي بالعمر وعن رغبتهم في حفيد، في الحقيقة معهم حق شاب أوشك علي تخطي الثلاثين ولم يُعجب بفتاة حتى، ليس أنني لا أحبذ الزواج، أو أبتعد عمدًا عن الجميلات، لكن في صميمي كان هناك شعور دفين بأن أحدًا ينتظرني يُراقبني يتأملني وكأن أحدهم أسر قلبي عند ولادتي!

حتى أتت هي من بين النجوم، وكأنها نجمة سقطت مخصوص حين سمعت أنين قلبي، ظلت تتقرب مني وكأنها تتفحصني، تميل برأسها يمينًا ويسارًا متفحصة وجهي، ثم أقتربت وبكل حذر راحت تتحسس ملامحي، نظرتُ في عينيها، كيف ليّ أن أصف هذا الجمال؟

كانت يداها رقيقة ناعمة كملمس يد طفل رضيع، وجهها يضيء مثل نجمة من مجرة أخرى في عالم الأحلام، عيناها تشبه سماء صافيه تتلألأ بها نجمتان، بشرتها بيضاء بنقاء الحليب، جسده منحوت تبارك الخالق، شعرها ذهبي بلون الشمس، لديها جناحان شفافان يُشعان ضوءً كأنه مُستمد من ضوء القمر، لم أري في حياتي مثلها.

بينما أنا أتأمل جمالها، كانت هي مازالت تتفحصني، ثم تحدثت وهي تُحرك يدها على قلبي

_لا بد لكَ أنكَ تتسائل من أنا وهل أنا حقيقة، أم حُلم من أحلامك؟

أجبتُها وفي قرارة نفسي أتمنى ألا يكون حلمًا

_ نعم فمن أنتِ؟

أقتربت مني أكثر ووضعت رأسها علي قلبي ثم أخبرتني

_أُدعي دِريم أميرة مجرة الأحلام من البُعد السابع للمجرات

أجبته باستفهام

كيف يعقل هذا؟ هل هناك حياة في مجرات أخرى

_أجل هناك حياة تقريبًا في كل المجرات

مازالت تضع رأسها على قلبي، وأنا مازلتُ أحاول استيعاب ما يحدث

_كيف أتيتِ إليّ ولماذا؟

أبعدت رأسها عني ورفرفت بجناحيها قليلًا ثم جلست بجانبي على النافذة

_الأتين إليكَ ليس صعب، وأتيتُ حين رأيتك تتأملني بقوة كل يوم شعرتُ كأنك تراني

_كيف! كيف أحدق بكِ وأتأملك أنا حتي لا أري سوي إنعكاس ضوء النجوم

أشارت ليّ بيدها إلى السماء

أنظر هناك مملكتي مجرتي موازيا لمجرة درب التبانة، لكنني أُحب مُراقبة البشر عن قُرب لذا أجلس كثيرًا علي تلك النجمة، كثرة تحديقك بها جعلتني أشعر وكأنك تُحدق بيّ

شردتُ بذهني قليلًا محاولًا استيعاب الأمر، كيف لهذا الملاك أن يكون حقيقة؟ أيعقل أنني حقًا أراها وتتحدث معي؟

أنتبهتُ على أناملها التي تتحسس قلبي بشغف، لاجيبها

_أحدق بالنجوم عادةً لكنني بالتأكيد لم أراكِ لن يصل نظرى إليكِ مهم حاولت، لن أنكر في الكثير من الأوقات كنتُ أشعر بأن أحدهم يراقبني لكنه مجرد شعور وضعه في الاعتبار يُعد جنونًا....

قاطعتني ضاحكة.

_إذًا إذا أخبرتهم أنكَ رأيتني وتحدثنا هل ستكون مجنونًا في نظرهم

أجَبتُها بِثقةٍ ممزوجة بِحزم

_بِكل تأكيد لن يصدقني حتى الطَبيبُ النفسي

ضَحِكت وكانت ضَحِكاتُها كأنها أنغامًا تدعوك للرقصِ عليها، لا أعلم لماذا تتحسس قلبي هكذا ولا أعلم السر وراء قدومها ليّ وتصرفاتها العفوية هذه، قطعت تفكيري وهي تقترب بوجهها من وجهي وتسألني

_أتريد أن ترى مجرتي

لم أعلم بما أُجيبها، اقترابها مني هكذا أربكني حقًا، لا أستطيع الإشاحة بنظري عنها وكأنها أسرت قلبي، أُومأتُ لها برأسي موافقًا فابتسمت اقتربت مني أكثر قائلة

_ ضع يدك حول خصري ودعني أُجهزكَ لرحلتِكَ

تجاوبتُ معاها لا تسألوني لماذا؟

تشبثت بيّ جيدًا، بدأتُ أشعر بدفء أنفاسها في صدري، دقاتُ قلبي حينها كادت تُكسِر ترائبي، لماذا أبدو ضعيفًا هكذا؟ لم تأسرني بشرية، هل ستأسرني جنية من مجرة أخرى؟

قطع تفكيري صوتها وهي تهمس ليّ

_أفتح عينيك ببطء لتستمتع بهذا المشهد

بدأتُ أفتح عيني شيئًا في شيء لأرى نفسي اسبح في فضاء أقل ما يقال عنه عالم خيالي، وكأنني سقطتُ في إحدى أفلام ديزني.

انتشلني صوتها مرة أخرى وهي تشير ليّ

_أنظر هذا نجم حديث الولادة، وهذا سديم، أما هذا فا ثقبًا أسود من الأحسن الأبتعاد عنه فهو لا يحب الزائرين

ثم أبتسمت وظلت تطوف بيّ في الفضاء، ومازلتُ عالق بين يديها ممسك بها بإحكام

بدأتُ بسألها

_كيف لكِ إعطائي رحلة مجانية كهذه وأنت حتى لا تعلمين من أكون وما هي هواجسي

أجابتني بثقة

_أما عن الرحلة فإن كنت تحبذ دفع تذكرتها سأبلغك لكن ليس الأن، وأما عنكَ فاأنا أميرة المجرة عمرى يتجاوز الستمائة عام لن يصعب عليّ معرفة معلومات بشري، أعلم جيدًا من أنت يا أسر وكيف ولدتُ وأين تعيش وماذا تُحب و.....

قاطعتها هامسًا

_ هل تحفظين معلومات كل البشر؟

بداء عليها الخجل، لوهلة شعرتُ أنها بشرية، يالا الجنان أطوفُ مع فضائية حول المجرات!

أشارت ليّ علي شيئًا كبير؛ نظرى لم يستجمع الصورة كاملة لكنها تبدو كأنها مجرتها، شيء أشبه بزهرة ياسمين ضخمة جدًا تتلألأ وكأنها جوهرة ثمينة، تُشع ضوء خافت، تُشبه كريستالة ضخمة سقط عليها إحدى أشعة القمر

_هذه مجرتي يا أسر، تدعي مجرة الأحلام، ومجرتي هنا مسؤولة عن الأحلام في جميع المجرات في الكون، هنا نبعث الأمل في قلب العالم والكون أجمع.

نظرت حولي مستكشفًا المكان وهي راحت تُبعدني من بين ذراعيها التي أعتدتُ عليهم حول جسدي، أعتدلتُ في وقفتي محاولًا إشاحة نظرى عنها

_لا أصدق ما أرى وكأنني في عالم خيالي

ابتسمت... نعم تلك الإبتسامة التي أسرت قلبي، كم أتمني ألا تنتهي الليلة؟

_دعني أصطحبك لغرفتي لأريك كيف يتم إرسال الأحلام إلا باقي المجرات

أشحتُ بنظري يمينًا ويسارًا قائلًا:

_إن غرفتك بمفردها تشبه عالم صغير من الأحلام

فأبتسمت ثانيةً وسألتني

_هل غرفتي فقط ما تشبه الأحلام؟

لم أستطع منع نفسي من الضحك، فأقتربت مني وراحت تتحسس غمازتي وكأنها تتسائل ما هذه العلامة،فسألتني ببراءة

_ما هذه العلامة التي زينت وجهك الأن؟

أمسكتُ يدها بلطف قائلًا:

_أ أعجبتكِ إنها تدعي غمازة

أقتربت مني أكثر، لأكون صريحًا معكم أصبحت أعشق أقتربُها هذا نعم لم تمضِ سوى بضع ساعات، لكني أشعر وكأنني أعرفها مُنذُ قرون، باتت تقول ليّ

_اجعلها تظهر ثانية لقد أحببتها كثيرًا

ضحكتُ رغمًا عني لتصرفاتها العفوية، فزينت وجهي الغمازة مرة أخرى، وكانت هي تهلل فرحة وتزداد في الأقتراب مني، في تلك اللحظة نسيتُ من تكون وأين نحن، فقط تمسكتُ باللحظة الوحيدة التي شعرتُ بها أنني وجدتُ نفسي، لأول مرة أجد ملجئي، لأول مرة أشعر بأني على سجيتي، جذبتها بين ذراعي، وأقتربت شفتاي لتحتضن شفتاها، وأستسلم جسدها بالكامل بين يدي، شعرتُ بتسارع دقات قلوبنا المسموعة، علمتُ بأننا أنتظرنا بعض مُنذُ البداية كسرت قواعد مجرتين مختلفتين، وأستسلمتُ لرغبة قلبي، ورحتُ أستمتع ببعض لحظات العشق مع حوريتي التي أنتظرتُها طويلًا.

وبعد فترة ليست بوجيزة، أخيرًا عدتُ لرشدي، لأجد حوريتي يتساقط لؤلؤ من عينيها على صدري، أعتدلتُ وسألتها عن السبب، فكانت تتمتم

_ إنها غلطتي لم يكن عليّ إحضار بشري إلى هنا، سأبقى الأمر سرًا وأبتعد عنه

ضممتها بين يدي بكامل قواي واخبرتها

_لن أبتعد عنكِ مهما حدث، فأنتِ حُلمي يا دِريم لن أترُككِ

بكت ثانية ثم راحت تتحدث إليّ

_أسر لابد أن تعلم شيء أحببتُكَ مُنذُ ولادتك، لكن لأخبرك شيء اليوم على الأرض يعادل سنة كاملة هنا في مجرة الأحلام، أمضيت معي نصف يوم بما يعادل ستة أشهر علي الأرض، لا سيما أن أهلك يبحثون عنك الأن في كل مكان أعتذر حقًا

لن أكذُب لوهلة صُعقت من حديثها، لكني لا أريد خسارتها أعلم أني لن أستطيع العيش مع سواها، لذلك حاولت أن اطمئنها ببعض الكلمات

_ لا تخافي يادِريم لن أتركِكِ مهما حدث....

قاطعتني قائلة

_أنا لستُ فقط دريم مجرد فضائية لديها مطلق الحرية، أنا أميرة مجرة مسؤولة عن الكون أجمع يا آسر لا أستطيع أن أترك الكون لأجل رغباتي الخاصة، وإذا علم أحد بأني خرقتُ القواعد سيقتلونك أنت، لأنك في عين مجرتي لا تُشكل أي تأثير على المجرات لذا التخلص منك هو الحل، وأنا لن أسمح بحدوث أي ومكروه لك

كلامها كان يصعق قلبي، لم أستطع أن أجد حلًا لذا قررتُ أن أضع شرطًا

_ سأعود إلي الأرض وستعودين لمملكتك لكني أريد منكِ شيئًا أخيرًا

_بالتأكيد لكَ كل ما تُريد

_أعطيني يومًا واحدًا من حياتك لكن عليّ الأرض بمعني أن تعطيني سنة كاملة علي الأرض

_موافقة

وعدتني بأن تجعل هذا العام أسعد عام في حياتي، وأوفت حقًا بوعدها.

عُدنا إلي الأرض وتزوجنا كنا أسعد زوجين في صحراء سيناء بل في العالم أجمع، كُل لحظة كانت تدونها علي النجوم، حتى أتي اليوم الذي ينتهي فيه اتفاقنا، أخبرتني أنها لن تنساني، واعدتني بأنها ستزورني في أحلامي، وسترسل ليّ رسائل عبر النجوم، أعطتني هدية ثمينة جدًا هي ما ساعدتني علي تخطي الأيام بعد رحيلها، حورية صغيرة أسميتها رحيق، كانت تُشبهها في كل شيء من رأسها وحتى قدميها، لكنها على الأقل ورثت غمازتي لتزداد جمالًا.

لم يكن فراقها سهلًا.

السابع والعشرون من ديسمبر عام ٢٠٢٠

مَرّ عشر أعوام، أختلط الشيبُ بِشعري، مازلَت غمازتي التي أحببتها تُزين وجهي لما تندثر خلف التَجاعيد، عيني مازالت تلمع عندما تتلامس مع ضوء الشمس، أشكُ بأنك من تُحافظين علي تلألأهما حتى الآن، رُغم أنين

قلبي المستمر والألم المُتوارى خلف ترائبي، مازلتُ أبحث عنكِ بين النجوم مازلتُ أنتظرك كل ليلة في النافذة، أرى انعكاس وجهك في السماء، صوت ضحكتك يحاوطني، دفء أنفاسك مازلتُ أشعر به، رسائلك التي ترسميها عبر النجوم أُدونها جميعها، هل من لقاء يجمعنا قريبًا؟

أخر ما بعثته لي عبر النجوم كانت رسالة جعلت كلمة ينتفض من شدة الاشتياق

_(أحببتُك بكامل قوتي، مازلتُ أتلقي عقابي من الملك لذلك لستُ قادرة علي القدوم لرؤيتك يا أسري، أخشي أن تكون فتاتنا مشاغبة مثل والدتها، كم كان من الجميل لو استطعنا البقاء معًا، لن أنساكَ يامن أسقتَ قواعد مجرتي)

لازلتُ أنتظرها وأعلم أني سأزال لآخر أنفاسي، فهي من علمتني الحب

فهل لنا من لقاء يجمعنا، ليُهدء من لوعة الأشتياق؟

تمت